المحاضرة رقم (04): رواد علم الاجتماع:

(عبد الرحمان ابن خلدون، أوجست كونت، ماكس فيبر)

ارتبط علم الاجتماع بظهور ثلة من العلماء منهم:

اولا-عبد الرحمان ابن خلدون (1332م-1406م): ولد العلامة ابن خلدون بتونس، واستقرت عائلته في شمال افريقيا واسبانيا، تعلم القرآن وحفظه بالقراءات السبع، درس النحو، والشعر، والقانون في عمر العشرين عين ككاتب للسلطان المغربي ثم هاجر الى اسبانيا وأصبح سفيرا، عاد الى الجزائر عام 1360، وعين وزيرا فيها، دامت مسيرته العلمية في علم الاجتماع لمدة طويلة، بعدها توفي بمصر سنة 1406م.

مؤلفاته في علم الاجتماع: يعتبر ابن خلدون من رواد الفكر الاجتماعي خاصة ان ما اضافه من تفكير اجتماعي، تميز بناحية هامة، فكان سباقا عن غيره من رواد السوسيولوجيا، ومن بين مؤلفاته نجد: مقدمة ابن خلدون الشهيرة، وكتاب العمران، وكتاب العمران البدوي وكتاب الدولة والملك، والخلافة، وكتاب العمران الحضري، وكتاب الصنائع والكسب والمعاش.

بعض أفكاره(اسهاماته) التي قدمها لعلم الاجتماع: له انجازات عديدة في علم الاجتماع نذكر منها:

- اول من وضع اساسيات علم الاجتماع بشكلها الحديث.
- اهتم بالدراسات الاجتماعية التاريخية.
- اهتم بالدولة ومظاهرها الاجتماعية بطريقة مطلقة دون ان يعني دولة محددة، ليثبت بذلك قانونا لتطورها مستمدا من المشاهدة والوقائع التاريخية.
- تطرق إلى الكثير من الجوانب النظرية في علم الاجتماع، وكان السباق في طرح آراء ونظريات علم الاجتماع.
- بدا بدراسة الانسان الذي يعيش داخل مجتمع محدد، وهو محور علم الاجتماع.
- نادى الى التمسك بالعصبية: وهي شعور داخلي يشد أفراد القبيلة إلى بعضهم البعض في حالات المواجهة، فيتعاونون فيما بينهم لمواجهة الأخطار التي تهددهم، فيتحركون تلقائيا بمشاعر مشتركة.

- ركز بشكل كبير على دراسة ظواهر العمران البشري، خاصة فيما يتعلق بالتطور الاجتماعي، إذ رأى انه لا يتم صدفة، لكن له قوانين تحكمه وتفسره، وهذه القوانين بدورها تدرس أو يتوصل إليها، كما أن هذه الدراسة تشكل موضوع علم مستقل هو علم الاجتماع .
- اقر ان الظواهر الاجتماعية هي الموضوع الاساسي للدراسة في علم الاجتماع، فهي تتغير باستمرار، كما انها تخضع للعصبية القبلية.

فوظيفة علم الاجتماع اذن عند ابن خلدون هو الكشف عن القوانين التي تحكم الظواهر الاجتماعية في حدوثها وتطورها وادائها لوظائفها.

أهم الانتقادات الموجهة لابن خلدون من رواد علم الاجتماع:

- ادعى بعض علماء الاجتماع أن فكرة المجتمع عند ابن خلدون لم تكن واضحة، مما جعله ينسب الكثير من الظواهر المؤثرة في المجتمع الى العوامل البيولوجية،
- انتقد على قانون التطور الذي اعتبره ثابتا: وهو قانون شبيه بقوانين الكائنات الحية في العلوم الطبيعية، والذي يعتمد على النزعة الحسية .
- رأوا بأنه لم يحسن استغلال قواعده المنهجية، واقتصر في دراسته لعلم الاجتماع وعلى استقراء الأمم والشعوب التي لاحظها، وهي شعوب العرب والبربر، خاصة في شمال افريقيا، واعتبروا أن ما كان يسود فيها في زمنه لا يصلح للتعميم واستخلاص قانون عام ثابت ينطبق على جل المجتمعات الإنسانية .

ثانيا: أوجست كونت (1857 – 1798م): هو مفكر وفيلسوف اجتماعي فرنسي ولد في فرنسا في مونبيليه الفرنسية، تتلمذ على يد المفكر الاجتماعي سان سيمون، تأثر به في حماسه لإصلاح المجتمع فقد حاول ان يطبق فكرة استاذه في ان الظواهر الاجتماعية تدرس بطريقة علمية، فكان بذلك اول من وضع الاساس لدراسة الظواهر الاجتماعية علميا، ووجوب ايجاد علم يتفرغ لدراستها وهو علم الاجتماع، ويعد ايضا اول من أطلق مصطلح السوسيولوجيا la sociologie على علم الاجتماع ،عام 1838 م، وناقش ضرورة تطبيق المنهج العلمي على دراسة المجتمع، وظواهره ومشكلاته، كما عبر عن رفضه للثورة الفرنسية وفلاسفة الانوار الذين حصروها فكريا، ورغم أنها استطاعت(الثورة الفرنسية) هدم قيم السلطة، والأخلاق

التقليدية، وكسر قيود النظم الدينية السائدة في تلك المجتمعات، لكنها عجزت عن البناء، غير أنهم قدموا له يد المساعدة من خلال قضائهم على النظام اللاهوتي، وتمهيدهم للنظام الجديد –المنهج الوضعي– كما كان من أنصار الثورة الصناعية (يؤيد الصناعة والعلم) غير انه يرى ان القطيعة تزداد بين أصحاب الاعمال والعمال، بسبب قسوة الطبقة البورجوازية في المجتمع الغربي، والتي ورثت أوضاع الطبقة الاقطاعية وامتيازاتها السياسية .

ولقد أسس كونت الوضعية التجريبية وهي إحدى فلسفات العلوم والتي تقر وتثبت أنه في مجال العلوم الاجتماعية وكذا العلوم الطبيعية، تعتبر ان المعرفة الحقيقية هي معرفة البيانات إلى استنتجت بالتجربة الحسية، والمعالجة المنطقية.

تقسيم علم الاجتماع عند كونت:

موضوع علم الاجتماع عند كونت هو دراسة الظواهر الاجتماعية في حال حركتها وسكونها، وبالتالي قسم هذا العلم في كتابه: دراسات في الفلسفة الوضعية الى قسمين اساسيين هما:

1- **فرع الثبات والاستقرار الاجتماعي (الاستاتيكا):** مجال الاهتمام هو النظام، وبالتالي فهو يركز على دراسة العلاقات المتبادلة بين النظم الاجتماعية، كالنظام الديني والنظام السياسي والنظام الاقتصادي والتربوي، والاسرة...، ويقوم هذا الفرع من علم الاجتماع بدراسة التوافق الاجتماعي في دراسة تشريحية تعتمد على تطبيق المنهج الوضعي الذي يقوم على الملاحظة والتجربة والمقارنة وتكون وحدة التحليل الاساسية فيه هي النظم الاجتماعية الأسرة بشكل خاص.
2- **فرع التطور أو الحراك الاجتماعي والديناميكا:** وموضوعه التغير عبر الزمن، وبين هذا الفرع أن وحدة التحليل والدراسة هي المجتمع الإنساني، فالمجمع لديه يتغير ويتطور من حالة إلى أخرى.
   - وعلى ذلك فالقانون الوحيد للدراسة الديناميكية هو قانون التقدم الإنساني، فقد وضح ذلك في قانون المراحل الثلاث (قانون الحالات الثلاث)، ووضعه كقانون عام تخضع له المجتمعات الإنسانية في تطورها وتقدمها.
   - **قانون المراحل الثلاث:** لقد مر التفكير انساني عبر 3 ثلاث مراحل هي:

1- **المرحلة اللاهوتية او الدينية:** وقسمها الى ثلاث مراحل هي:

أ- المرحلة الوثنية، ب- ومرحلة تعدد الالهة، ج-مرحلة التوحيد، التي ظهرت بظهور الديانة السماوية، وتتميز المرحلة اللاهوتية بسيادة الفكر الديني، ومن حيث النظام الاجتماعي يتمركز حول العائلة وفي هذه المرحلة، كان الانسان يفسر ما يشاهده من ظواهر واحداث طبيعية او اجتماعية بانها من صنع الاله، وتحدث وفقا لإرادته.

2- **المرحلة الميتافيزيقية:** تسودها الاتجاهات الميتافيزيقية (الفلسفية، الغائية، ما وراء الطبيعة) وتنسب الظواهر والاحداث فيها الى قوى الطبيعة، وتكون الوحدة الأساسية للدراسة الاجتماعية للمجتمع هي قوى الطبيعة، كما يخضع المجتمع لسيطرة الحكام والقضاة والمؤسسات الدينية، وانتشار الفكر الفلسفي لتكون الدولة هي المكون الرئيسي للمجتمع.

3- **المرحلة الوضعية او العلمية:** وتتسم بسيادة الفكر العلمي وتفسر فيها الوقائع لا بردها الى العناية الالهية ولا بتصور القوى الكامنة فيها (الطبيعة)، بل تفسر من خلال تطبيق المنهج الوضعي الذي يستند على الملاحظة والتجربة والمقارنة ومعرفة القوانين التي تحكمها والعوامل التي تسيرها، وتتميز هذه المرحلة من الناحية المادية بانتشار الصناعة وتميز المجتمع بتشكل مفهوم الدولة.

ثالثا: ماكس فيبر(1920-1864م): ولد فيبر عام 1864م بألمانيا، له معرفة واسعة في مختلف الموضوعات، اذ تعددت اهتماماته بشكل كبير بين الاقتصاد، والمجتمع، والتاريخ، وعلم اجتماع المعرفة، والسياسة، والقانون، فكانت اهتماماته علمية فلم يولي أهمية بالغة بالموضوعات الأساسية في علم الاجتماع، الا ان دوره كان بارزا في معرفة قضايا هذا العلم.

- **اهم اعماله: من بين مؤلفاته** نجد الاخلاق البروتستانتية، وروح الرأسمالية، والاقتصاد والمجتمع، والشركات التجارية في العصور الوسطى، ودراسة في نظرية العلم، وقدم دراسات محددة في عدة مواضيع هامة، وأرسى منهجا فلسفيا للعلوم الاجتماعية.
- **اهم أفكاره في علم الاجتماع: نادى بضرورة:**
- الاهتمام بدراسة العلاقة الوظيفية بين الدين والوضع الطبقي داخل المجتمع.
- الاهتمام بتحديد الخصائص المميزة للحضارة الغربية، والتي تؤثر بموجبها على السلوك الإنساني.
- التركيز على دراسة العلاقة الوظيفية بين الدين والنشاط الاقتصادي للإنسان.

- السعي لفهم طبيعة التغير الاجتماعي، فالعامل الاقتصادي مهم لديه، الا ان القيم والآراء التي لها تأثير مماثل على التغير الاجتماعي.
- **ماكس فيبر والفعل الاجتماعي:** أكد فيبر على ان علم الاجتماع علم يسعى الى فهم الفعل الاجتماعي وتفسيره، لكي يصل الى تفسير سببي لمساره، ونتائجه، وبذلك يكون علم الاجتماع لديه عبارة عن دراسة شاملة للفعل الاجتماعي، والذي يستهدف فهم معاني السلوك البشري.
- **ومن هنا جاء تعريف فيبر للفعل الاجتماعي بانه:** سلوك انساني ظاهر ومستمر، يمنحه الفرد الفاعل معنى ذاتي، فالسلوك الذي يخلو من المعنى الذاتي لا ينتهي فهم الى الدراسة السوسيولوجية، وقد صنف ماكس فيبر الفعل الاجتماعي إلى أربعة (04) أنواع:

الفعل العقلاني، الفعل القيمي، الفعل العاطفي، الفعل التقليدي.

من هنا نستخلص أن علم الاجتماع لدى فيبر هو: ذلك العلم الذي يهدف الى بناء نظرية تحليلية لنظم وأنماط الفعل الاجتماعي، فهو اذن الدراسة العلمية للفعل الاجتماعي .